أثر اللّسانيات العرفانيّة في هندسة المهارات الذهنيّة انطلاقا من اللّغة

The effect of cognitive linguistics on engineering mental skills based on language

د. فاطمة سعدي*

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية – وحدة تلمسان (الجزائر)، saadifatima14@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/09/23 تاريخ القبول 2021/11/07 تاريخ النشر2022/03/31

ملخص:

تعتبر اللسانيات العرفانيّة علم حديث النشأة، يربط الجانب اللغوي بالجانب الذهني، كان وليد تداخل مجموعة من العلوم المعرفية المختلفة لتتداخل متداخلة فيما بينها ، لتساهم في إدراك العمليات العقلية في الذهن، منقسمة إلى قسمين الأول يقوم بمعالجة الجانب الذهني والثاني يقوم بمعالجة المشاكل اللغوية.نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى التعريف بعلم اللسانيات العرفاني وعلاقته بعلم اللسانيات العصبية ودور في خدمة الدرس اللغوي. انطلاقا من الإشكالية التالية:

ما طبيعة اللسانيات العرفانية؟ كيف استفادة اللغة من اللسانيات العرفانية والعلوم العصبية؟

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العرفانية، اللسانيات العصبية، علم اللغة، الدماغ.

Abstract:

Cognitive linguistics is a recent science that links the linguistic answer to the mental aspect. It was the result of an intertwining group of different cognitive sciences, to overlap with each other, to contribute to the perception of mental processes in the mind, divided into two parts. The first deals with the mental aspect and the second deals with linguistic problems.

We aim, through this research paper, to introduce the cognitive linguistics and its relationship to neurolinguistics and its role in serving the linguistic lesson, based on the following problematic:

What is the nature of cognitive linguistics? How does language benefit from cognitive linguistics and neuroscience?

Key words: cognitive linguistics, neurolinguistics, linguistics, the brain.

مقدمة:

اللّسانيات العرفانيّة علم حديث النشأة نتج عن تلاقح مجموعة من العلوم المعرفية ترتبط ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، وهذا ما أوضحه علماء اللّغة الإدراكية بأنّ مختلف مجالات اللّغة البشرية تشترك في مبادئ تنظيمية أساسية معينة، ويُوضح ذلك الالتزام بالتعميم والالتزام الإدراكي الذي اعتمدوهما كأحد المجالات التي حقق فيها هذا النهج نجاحاً كبيراً في توحيد النظام المعجمي مع النظام النّحوي، وتوفير نظرية موحّدة للتركيب النحوي والمعجمي، وهذان الالتزامان يرتكزان على التوجّه والنّهج المعتمد من قِبل الإدراكيين واللّسانيين، ولهذا فطبيعة اللّسانيات العرفانيّة

* المؤلف المرسل

تتناول طبيعة العلاقة بين اللّغة والعقل وهذا ما نهدف إلى معالجته في هذه الورقة البحثية انطلاقا من الإشكالية التالية:

ما طبيعة اللسانيات العرفانيّة؟ كيف استفادت اللّغة من اللسانيات العرفانيّة والعلوم العصبية؟

1.مفهوم اللسانيات العرفانيّة Linguistique Cognitive :

العرفان: اسم من عرف يعرف يدل على العلم بالشيء أو الإقرار بالمعروف وعدم نكران الجميل، ثم استعمله أهل التصوف لما يكون لهم من معرفة غير آتية عن طريق العقل وغير مثبتة باستدلال وبرهان، وهي تفرق بين نوعين من الأنشطة الفكرية التي يدور حولها مفهوم العرفان "نظرية المعرفة/نظرية العرفانيّة"[1].

وهو مصطلح حديث النشأة يشكل حلقة وصل بين اللسانيات والعلوم العرفانيّة التي تعني" العلوم التي تهتم بدراسة آليات اشتغال الذهن بصورة خاصة، والذكاء بصفة عامة هدفها فهم بنية، وعمل العقل البشري" [2] فهي تمثل من خلال هذا التعريف العلاقة التي تجمع كل من العقل البشري واللغة داخل موقف اجتماعي معين في بيئة معينة، وقد اختلف الباحثين والدارسين في تحديد تعريف اللسانيات العرفانية كل حسب اختصاصه وفي هذا الصدد نذكر مجموعة من التعاريف حيث عرفها ليبنز بقوله:«إنّ معظم الخلافات العالمية ترجع إلى خلاف على معنى الألفاظ ودلالتها، ويوم يصطلح العلماء على دوال معيّنة تضيق مسافة الخلاف كثيراً»[3].

المعرفة: المعرفة المعقلنة الناتجة عن الحضارة والتفكير الواعي.

والعرفان الطبيعي المترسخ في خصائص الدماغ والمتجاوز للوعي والإدراك، فهو يرجع إلى طبيعة الدّماغ في أنها- صورة آلية- تفكر في كل شيء أو معرفة تدخلها وهي طبعة راسخة ضمن خصائص بناء الدماغ[4].

حيث يحمل لفظ "العرفاني"[5] معنيين مختلفين تمام الاختلاف ممّا يؤدي أحيانا إلى وقوع الالتباس، إذ يستعمل لفظ "العرفاني" في العلم العرفاني للدّلالة على أيّ نوع من أنواع العمليات أو البنى الذهنية التي يمكن أن تدّرس بألفاظ دقيقة وأغلب هذه البنى والعمليات وجدت ليكون الإنسان غير واعٍ بها، هكذا يدخل مسار العصب البصري والعصب السمعي في إطار ما هو عرفاني، وكلّ من المسارين لا يدخلا تحت الوعي لأنّنا لا نقدر على الإحاطة خبراً بما تشتمل عليه المسارات العصبية المعقدة التي تؤدي إلى حصول تجربة إدراكنا السمعي- البصري وهذه المنظومة العصبية المتصلة بأيّ عملية عرفانيّة تدخل ضمن العلوم العرفانيّة، وكذلك الشأن بالنسبة لمظاهر التفكير واللغة والتي تشمل الصوتية والنحو والأنساق المفوهومية والمعجم الذهني والانفعالات وتصور محرّك العمليات من منظور عرفاني سواءً ما نعيه وما لا نعيه منها، تعدّ عرفانيّة[6].

أمّا أمبار Imbert (1992) فعرّفها هو الآخر بدوره بأنّها: «جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدّماغ) واللّسانيات والأنثروبولوجيا، وتدرس العلوم العرفنيّة، الذكاء عامّة والذكاء البشري وأرضيته

البيولوجية التي تحمله، وتعني كذلك بمنولية (Modelling) وتبحث في تجليّاته النفسية واللّغوية والأنثروبولوجية»[7].

وهو بهذا التعريف يوافق "لايكوف" في تحديده لعلم العرفانيّة، وعليه فالعرفان هو «قدرة الذهن على معالجة المعلومات، التفكير وتخزين المعلومات في الذاكرة واتخاذ القرارات وتنفيذ الأعمال، والتحكّم في التصوّرات وتنظيم المدركات»، وفي هذا السياق تقول "مارغريت ماتلان" (M. Matlin, 1998): «العرفان أو النشاط الذهني، يضم اكتساب المعارف وتخزينها واستخدامها»، وتضيف إلى ذلك أنّ «العرفان يضمّ عيّنة واسعة من العمليات الذهنية التي تشغلها في كلّ مرة تستقبل فيها المعلومة أو تخزّن أو تحوّل أو تستخدم»، وهذا القول يجرّنا للحديث عن ارتباط اللغة بالعرفان البشري الذي يعود إلى نظرية الحشطلت Gestalt والتي تقول بأنّ: «الذهن البشري هو الذي يُبَنين الكون وينظمه وأنّ طريقة عمل الذهن تكون بناءً على التركيز على الثوابت»[8]، ذلك أنّ عمل الدّماغ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدّراسات النفسية التي تهتم بمتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام.

اللسانيات العرفانية تدرس العمليات العقلية المتصلة باللغة، فتتأثر اللغة بكل خصائص العقل، ونشاطه، لأنها جزء من النظام العرفاني. لكن مع الطور الثاني من حياة العرفانية بدأ التحول ناحية الدماغ واعتبارها أرضية لكل العمليات العرفانية التي تعالج فيها اللغة وغيرها، حيث بدأ الخلاف حول استعارة الدماغ والحاسوب، إلى التوجه ناحية معطيات العلوم الحديثة كعلم الأعصاب والتشريح وغيرها. فالعرفانية توجه يفسر العمليات العقلية لتحقيق التواصل، وبيان الآلة التي يقتم عليها التواصل، فتعالج كل المعارف داخلها لتخرج بنتيجة، أن طبيعة المخ عبارة عن آلة تقوم بمعالجة المعلومات، ومايخرجه المخ هو نتيجة معالجة للمعلومات، هذا هو المفهوم العرفاني الجديد[9].

2. مجالات العرفانيّة:

إنّ مصطلح "مجال معرفي" أو "مجال تصوّري" الذي يطلق على مجموعة من الأبنية المعرفية له ارتباط وثيق بذكر أهمّ السّمات الدّلالية لعبارة لغوية ما، فمثلاً الوحدة المعنوية "كتاب" تحيل على المجال العرفاني الخاص بالأشياء المادية الملموسة باعتبار أنّ "الكتاب" شيء مادي له حجم وشكل ووزن وما إلى ذلك من الخاصّيات، كما تحيل على مجال الطباعة ومجال كلّ ما هو مكتوب، ومجال التعليم ومجال المبادلات التجارية باعتبار أنّ "الكتاب" بضاعة لها ثمن وتُباع وتُشترى، إلى غير ذلك من المجالات الممكنة[10].

وفي هذا الصدد يقول "لانقاكر" (Langacker, 1987) أنّ: «القيمة الدّلالية للعبارة لا تكمن لا في الأساس وحده ولا في الجانب بمفرده بل في التوليف بينهما فقط، إنّ تلك القيمة تشتق من تعيين كيان مخصوص ومعيّن الماهية، ومميّز بواسطة موقعه داخل تشكيل واسع»، ولنأخذ على سبيل المثال المحمول الدّلالي

"سنبلة" فإنّ البنية الدّلالية لهذه الكلمة تتحدّد إدراكياً بأنّها الزرعة من القمح أو الشعير أو الذرة التي حوت جيوبا من القمح، وهذا المحمول الدّلالي "سنبلة" تخصّص بالاعتماد على سمات عددية من نوع الشكل والوظيفة واللون والحجم والحيادة، وهذه السمات تتطلب استحضار ميادين عرفانيّة عدّة[11].

إنّ أغلب العبارات اللّغوية تحيل على مجالات مركّبة معقدة، فكلّ نظام معرفي وكلّ تصوّر يمكنه أن يمثل مجالا لتحديد الخصائص المعنوية لعبارة لغوية ما، تكوّن المجالات المختلفة في معنى العبارة ما يسمى بالحقل الدّلالي لتلك العبارة، وقد تستعمل بعض المناويل التي تكوّن جزءً من تصوّرنا الاصطلاحي لبعض المفاهيم باعتبارها مجالات عرفانية تسمح بتحديد بعض خصائص عبارة ما، فمنوال الزمان مثلا يقع استحضاره وتنشيطه كلما استعمل المتكلم عبارة "يوم الجمعة" مثلا[12].

كما تكمن أهمية تقليب المعلومات الخاصّة بعبارة لغويّة ما في محاولة الناس تذكّر النص في أنّها تشكل دليلاً على وجود التخطيط ففهمنا لِما نقرأ ينشأ مباشرة من الكلمات والجمل في الصفحة، ولكن ينشأ عمّا نبدعه في عقولنا من تفسير لِما نقرأ[13]، وقد كان لمفهوم المجال العرفاني هذا تأثير كبير في الجهود المتعلقة بالمعالجة الآلية للغات الطبيعية التي تتطلب تقييس الآلة للدّماغ البشري في كيفية تخزينه للمعلومات واسترجاعها، وهذا هو جوهر العمليات الذهنية التي شغلت الكثير من المتخصّصين في حقل اللّسانيات العرفانيّة.

3. أسس اللّسانيات العرفانيّة:

تقوم اللّسانيات العرفانيّة على أساسين مهمّين هما:

أ–الموقف الذهني النفسي: تنطلق اللّسانيات العرفنيّة في هذا الإطار من مسلّمة ذهنية مفادها أنّ اللّغة الطبيعية بنية معلومات مرمّزة في الذهن البشري أو هي تمثيل ذهني، ومن ثمّة فإنّ المعلومات المتحصّل عليها من اللغة مصوغة بالطريقة التي تنظم بها الذهن التجربة، ولا يمكن لهذه المعلومات المتجليّة في التمثيلات اللّغوية أن تحيل على العالم الخارجي، كان في نظريات أخرى، وإنّما على عالم مسقط ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم المذكور، فهدف علم اللغة العرفنيّ هو توضيح الكيفية التي تربط بها اللغة والعالم ببعضهما في الذهن البشري[14]، حيث يكون ارتباطهما داخلياً غير مرتبط بالعالم مباشرة. فالوجود الواقعي ليس شرطاً حتى يتمكّن البشر من الإحالة عليه، ودليل ذلك قدرة الإنسان على التعبير اللّغوي عن أشياء لا وجود لها في العالم، بل هي صورة معنوية تمّ تجميعها بفعل التأويل الذهني.

ب–الموقف التأليفي:من أهمّ خصائص اللغة وخاصيّتها التأليفية: بمعنى قدرة متكلّميها على خلق عدد محدود من الأقوال وفهمها، إذ تعدّ من الخصائص الجوهرية للنّحو التوليدي بمعناه الحديث عند "نعوم تشومسكي" معتمداً على أسس رياضية والتقنيات نفسها التي قادت إلى تطوير الحاسوب، ولأنّ عدداً من الأقوال الممكنة في اللّغة الطبيعية غير محدود، فإنّ مستعملي اللّغة لا يمكنهم تجربتها كلّها في أذهانهم، فما

علّتهم إلاّ تحديد لائحة من العناصر البنيويّة الصالحة للتأليف والمسمّاة ب "المعجم" ومجموعة من المبادئ والقواعد للتأليف بين العناصر[15].

إنّ التعبير عن الموقف ذاته بعبارات مختلفة مباشرة أو إحالة رمزية لا توجب تعلمّا بل ترتبط بسياق الاستعمال وتوجب تحديد خصائص المعرفة الوظيفية اللّغوية.

4.العرفانيّة والدماغ:

لقد ارتبطت العرفانيّة في علاقتها بالدماغ وتطورها من طورين أولهما قوامة الحاسوبي فيما يعرف باستعارة الحاسوب وثانيهما قوامة الدماغ وهو الطور الترابطي فيما يعرف باستعارة الشبكات[16]،هو تصور لتطور مفهوم العرفانية، فقد بدأ بتصور المخ حسوبيا، فاستعار هذا الجهاز الصناعي ليصور عمل المخ في معالجة المعلومات القادمة إليه، فيقوم الفرد بحل المشكلات وفهم الأشياء كما يفعل الحاسوب، والثاني أساسه الدماغ من خلال تحليل وتصور بيولوجي للخلية العصبية، وهو يقوم على تفسير عمليات الفهم بأنها نتيجة عمليات بيولوجية أساسها الترابط الموجود بين الخلايا العصبية والتي تعرف بالشبكات العصبية داخل المختقوم باستقبال المعلومات ونقلها داخل الخلية ومعالجتها[17].

5.اللسانيات العرفانيّة واللغة:

لتحليل عملية التفكير يمكننا أن نستند إلى علم النفس المعرفي بوصفه القلب النابض للعلوم المعرفيّة، فقد ألهمت في الثلاثينات اللّسانيات العرفانيّة بعض النظريات النفسيّة التي تنظر إلى السلوك الإنساني وقدراته نظرة شاملة[18]، ويمكننا أيضا أن نرتكز على علوم الأعصاب Les neurosciences وعلى وصف تشريحي للدّماغ وهذا ما يفسّر سعي اللّسانيات العرفانيّة إلى العمل بشكل وثيق مع اللّسانيات العصبيّة، إضافة إلى الذكاء الاصطناعي، وهذا ما سنشير إليه لاحقاً في علاقة اللّسانيات العرفانيّة بالعلوم المعرفيّة الأخرى نظرا لكونها حقلاً بينياً.

ومن وجهة نظر التفسير العام للعمليات العقلية تشير اللّسانيات العرفانيّة إلى فرضيتين بمقتضى الفرضية الأولى؛ يعمل الدّماغ في المقام الأوّل عن طريق المعلومات المستقلة عن بعضها البعض التي تعطي المعلومات التي يتمّ إرسالها، وبمقتضى الفرضية الثانية يكون عمل الدّماغ عن طريق شبكات مترابطة تعمل في الوقت نفسه، وهذا وفقا لأطروحة "جيري فودور" (Jerry A. Fodor) الذي طوّر في كتابه "وجدانية العقل" «La modularité de l’esprit» الذي نشر باللغة الإنجليزية في عام 1983 وترجم في عام 1986، فالعمليات العقلية تقبل التحليل إلى وحدات المعالجة والتمثيل، ومن المفترض أنّ هذه الوحدات المختلفة تتوافق مع بنيات الدّماغ المختلفة، وتحديد إجراءات متميّزة[19].

6. الفضاءات الذهنية:

هي جملة المعلومات المنظمة المتعلقة بالمعتقدات والأشياء، فكلّ ما في أذهاننا معلومات راسخة منظمة عن المعتقدات التي نعتقدها والأشياء التي حولنا أو تتصل بنا قد بنيناها عن طريق التجربة والمعرفة والمعايشة، هذه المعلومات تكوّن لنا صورة لهذه المعتقدات، وتلك الأشياء هي صورة رمزية فيكون بناء الأفضية الذهنية في جميع الأنشطة الرمزية، لعلّ أبرز ممثل لها هو النشاط اللّغوي، فالمتكلم إنّما ينشئ ما لا نهاية له من الأفضية الذهنية في جميع الأقوال التي ينجزها من قبيل المحادثات والقصص والخرافات والشعر والرواية والمسرح... حيث تنشأ هذه الأفضية الذهنية نشوءً فورياً أثناء الكلام، وتتعدّد وتتناسل كلّ ذلك بشكل فوري آني، لأنّ الفضاء الذهني بنية عرفانيّة تبنى فيها المجالات وتنظم وتترابط فيما بينها[20]، ولهذا فالخصائص المعنوية لعبارة ما تحدّد بالرجوع إلى فضاء ذهني معيّن، إذ هو عبارة عن وضعية معقدة يشتمل على مجموعة من العناصر وعلى علاقات معيّنة بين تلك العناصر، كالحالات الشعورية ورغبات المتكلم وتصوّره للواقع، ويمكن تبيّن أهمية الفضاءات الذهنية في نظام الفعل العربي، خاصّة في الفرق بين مختلف أزمنته التصريفية فالماضي والمضارع المرفوع مثلا يضعان الحدث الذي يعبّر عنه المركب الإسنادي في فضاء الواقع، بينما يشير المضارع المنصوب إلى الحدث باعتباره منتمياً إلى فضاء ذهني من نوع خاص مثل فضاء الرّغبات وغيره من الفضاءات الذاتية، أي أنّ الماضي واجب والمضارع المرفوع ممكن إلاّ أنّهما موجودان في فضاء الواقع في حين أنّ المضارع المنصوب كائن في فضاء الإمكان[21].

وتحليل معنى العبارة هو ما يجب أن يسمح بتوضيح كلّ استعمالاتها بدون استثناء بِما في ذلك استعمالاتها المجازية التي تركها أغلب اللّسانيين والنحاة جانباً وأهملوها طيلة قرون واعتبروها جزءًا من اهتمامات البلاغيين والأسلوبيين التي لا تعني عالم النحو في شيء، فالتحليل الدّلالي لعبارة "علاج" في اللغة العربية مثلا ينبغي أن يسمح بفهم معانيها عندما تستعمل في الطب بمعنى ما يستعمل مع علاج الأمراض، وفي علم الاجتماع في عبارة "علاج الآفات الاجتماعية" وفي اللّسانيات الحاسوبية في عبارة "العلاج الآلي للغة العربية" مثلا وبالتالي فالنحو العرفاني لا يميّز بين ما يُسميّه اللّسانيون عادةً معنى لغويا ومعنى تداوليا وإنّما يعتبر أنّ المعنى موسوعي أو لا يكون[22]، وهذا ما يدفعنا للبحث في مستوى أعمق في ذهن الفرد من تمثله الذهني للأشياء والأفكار لأنّه المصنع الذي تصنع منه الصورة ويبنى فيه التخيّل وفق المحيط الذي يعيش فيه الفرد أو الموقف الذي يتعرّض له.

***بناء الفضاءات الذهنية:**

قد أورد فوكونياي أنه عندما يتم تشكيل الفضاء الذهني في الخطاب بواسطة بناة الأفضية يجب أن تترابط مع الفضاء الأساس، باستعمال عناصر محفّزة مشتركة بين فضاء الأساس والأفضية المتولدة عنه وهو يسمى الروابط بالمدرجات قد تكون ظروفا أو مركبات ظرفية أو واصلات منطقية مثل كان. إذن، مركبات فعلية، ترافق المدرجات جملا لغوية تعقد علاقات بين عناصر الفضاءات[23] إذ تؤدي الروابط دورا وظيفيا في الوصل بين الأطر والأفضية، مشكلة نوعا من الانضمام في توزيع المعلومات بمساعدة مختلف وحدات اللغة المستعملة في التواصل.

وتنشأ العلاقات بين الأفضية، نتيجة لعملية الربط التي تجعل الوحدات الخطابية مستمرة، حيث تتفرع إلى علاقات الترتيب التي بها تترتب الأفضية، في مواضع التبئير، وعلاقات الترابط التي تنتجها الروابط عن طريق مبدأ الاهتداء الذي يقوم على إيجاد نظير لكل عنصر من الفضاء الأساس في الفضاء المتولد عنه، أي أن العلاقات تنشأ بين العناصر المشكلة للأفضية الذهنية، نتيجة لاشتغال الأدوات الواصلة بينها هذا الاشتغال الأدوات الواصلة بينها ينتج عنه علاقات تعمل على ترتيب الحالات الذهنية النشطة التي تولّد أفضية جديدة في حين تنشأ علاقات الترابط بالاستعمال المتعدد للأدوات الرّابطة بين الأطر المشكلة للخطاب عن طريق توريث بعض خصائص الفضاء الأساس للفضاء المتولد عنه[24].

7. اللّسانيات العصبية: Neurolinguistique

اللسانيات العصبية مصطلح أطلق على درس جديد في البحث اللغوي يبحث العلاقة بين الجهاز العصبي واللّغة، فاللغة سلوك انساني يظهر في شكل أصوات تعوّد جهازنا النطقي أن يصدرها بصورة عفوية تلقائية، وكي تصبح الأصوات لغة كان علينا أن نوظفها لغاية التواصل بين البشر، وكما أن الجهاز النطقي يقوم إلى جانب عملية النطق بعمليات حيوية أساسية للإبقاء على حياة الإنسان، فإن الجهاز العصبي يقوم بالإشراف على العمليات الحيوية وكذلك على إنتاج اللغة، ومن هنا تبدو اللغة كعملية ثانوية بالنسبة للجهاز النطقي والجهاز العصبي، لذا كان علينا دراسة اللغة والمخ[25].

غايتها وصف الأسس العصبية للغة والكلام وتفسيرها ومن ثمّ وصف العمليات المرتبطة باستعمال اللغة والمشكلات التي تواجه مستعمل اللغة (صغيراً أم كبيراً) والتي تعرف بأمراض الكلام[26]، لذلك تدخل المنظومة العصبية المتصلة بأيّ عملية عرفانيّة ضمن العلوم العرفانيّة، وهي أيضا دراسة الأسس البيولوجية لاستعداداتنا اللّغوية، وكيف ترتبط قدراتنا اللّغوية بأجسادنا وأدمغتنا ونظامنا العصبي[27].

تتمثل علاقة اللّسانيات العرفانيّة بمختلف الحقول العرفنيّة الأخرى (نفسية، سبيرنيتية، حاسوبية، عصبيّة، منطقية وفلسفية) في تأثّرها بها وتأثيرها فيها؛ أي أنّ هذه العلاقة يمكن تناولها من زاويتين: إفادة اللّسانيات من العلوم العرفنيّة وإفادتها إيّاها وذلك من حيث الحقائق والنتائج ووجوه التناول[28].

فهي تؤسس بانتمائها للعلوم العرفانية أساسا بينيا علميا يتداخل بشكل بين معطيات العلوم الكونية واللسانية المعاصرة، بما يقدم كمّا ضخما من المعطيات والنتائج التحليلية، التي يمكن على أساسها إعادة النظر في التصنيف اللغوي والمعجمي برمته، وتأسيس طرق جديد للتعامل مع النظم المعلوماتية الحاسوبية وبشكل يفتح آفاقا للتواصل التكنو–آلي، يحاكي نظام الدمغ البشري.

8.اكتساب اللغة ونموها وفق المنظور اللساني العصبي:

يطرح تشومسكي في برنامجه التوليدي نواة الأسس اللسانية البيولوجية التي يدخل اكتساب اللغة في الشق المتعلق بحصول الملكة في الدماغ والتي تقوم على ركيزتين أساسيتين:

أ– التوليفية combinatoriality : هي طاقة ذهنية يكون النحو بها توليديا قادرا على إنتاج عدد لا نهائي من الأقوال ويكون قدرا كذلك على فهمها، وذلك بناء على عدد محدود من العناصر التي يجري توليفها وفق مبادئ التوليف الإعرابية، كما يرى تشومسكي أن الطفل يفوق في طاقته النحوية جميع الباحثين، فهو قادر على إقامة نحو في ذهنه يجرده من المعطيات دون عناء أو إعانة، هذه التوليفية ترتبط دلاليا، بمعرفتنا بالغموض المعجمي و التركيبي، بما يكشف لنا أن معنى التعبير اللّغوي ينبني تأسيسا على معاني الكلمات التي يحتويها، وكذلك تركيبه النحوي، والفكرة القائلة بأن معنى أي تركيب يتشكل من خلال معاني أجزائه وكيفية اتحاد هذه الأجزاء تركيبا[29] تعرف باسم "**مبدأ التأليف التركيبي**"[30].

ب–المنظومية: وهي الوظيفة المتخصصة لمعالجة المعلومات وتقترن في كثير من العلوم بالأرضية العصبية للدماغ، حتى إن الحاسوب يحاكي عمل الدماغ في هذا الجانب، فمنظومته قائمة على وحدة مركزية تتفرع عنها روابط خاصة بالصوت والرسم والحساب...وقد أكدت البحوث التي أجريت من قبل المنشغلين بالبحث في المنظومات البنائية للجسد البشري من مختلف فروع المعرفة إلى استنتاج أن كل أنظمة الجسد بكامله، ومن خلال هذا المبدأ عالج التوليديون قضية اكتساب اللّغة ضمن المنظمة العصبية بمختلف أجزائها[31].

1.8معالجة المستويات اللغوية في الدماغ البشري وفق المفهوم العرفاني:

إن البحث في الآليات العصبية خاصة والعرفانيّة الكامنة في حصول الملكة اللغوية وإجرائها، ومن أسس هذا التوجه أن البشر يولدون مزودين بالملكة اللّغوية في شكل النحو الكلي وهذه الملكة تحصل عند النوع بحكم التكيف البيولوجي المخصوص بالنوع البشري نمختلف ملكاته وعلى الأخص منها اللغة، وهذا النحو الكوني مر بمراحل مختلفة من بحث المبادئ العامة الموجهة والبراميترات، ثم الانتقال إلى بحث التحقيق اللغوي من حيث آليات إنتاج الكلام وإدراكه وعلاقة المكون اللغوي بالنظام المفهومي من حيث تخزين الكم الهائل من الرموز والوحدات المعجمية واستعمالها.

إن امتلاك البشر لمخ كبير على نحو فريد وجهاز صوتي معدل على نحو استثنائي، يعد سرا من أسرار القدرة البشرية اللغوية حسب كل من بيكرتون وتشومسكي، لأن الفرق بين لغة البشر ولغة الحيوان يكمن في كون لغة الحيوان لا تنقل معلومات واقعية أو رسائل مشفرة للمتلقي من حلال الصيحات، بل إن نظم التواصل عند الحيوان إما تعبر عن حالة المرسل في تلك اللحظة أو تحاول التأثير في سلوك المستقبل لذلك فإنها تفتقد القابلية للإبداع[32].

ويمكن اعتبار النمو الفزيولوجي للدماغ–الذي أدى إلى ظهور اللغة– يعود إلى أصل القدرة الذهنية التي في أدمغة البشر. لأن كل أدمغة البشر تحوي قدرات ذهنية كامنة داخلها تمكننا من إنتاج اللغة. فبتفاعل هذه القدرة الذهنية مع النمو الفزيولوجي واتساع أنشطة البشر، خاصة الأنشطة والمهارات اللغوية[33].

فالقراءة من المهارات اللغوية التي تتطلب مهارة رسم خرائط صوتية ودلالية لنص مكتوب ومرئي وهي تعتمد على النظم العصبية التي تنتشر عبر الدماغ ويتطلب الفهم الكامل لهذه القدرة المعرفية تحديد مسارات تنقل المعلومات بين المناطق الدماغية الموكول إليها معالجة هذه السّيرورات. وقد استخدمت مؤخرا، تقنية التصوير

المغناطيسي لتحديد العلاقات المتبادلة بين خصائص المادة البيضاء ومهارات القراءة حيث اسفرت عن مسارين أحدهما يعتبر خطوة مرحلية لتحويل الحروف والكلمات إلى أصوات ونقلها إلى منطقة بروكا المسؤولة عن الخطاب المنطوق أما الثاني فيقوم بترجمة مباشرة للحروف والكلمات إلى معاني أو دلالات في منطقة الشكل البصرى للكلمات.

ويعيد النظام البصري بناء الحروف في الجهاز العصبي المركزي بعد تحليل دقيق لها. ولذا أصبح من الضروري البدء باكتساب المتعلم معرفة دقيقة وشاملة بالحروف الأبجدية. كما أن النظام السمعي معنى بشكل كبير بالقراءة لذا فمن الضروري أن تتطلب الخطوة الموالية ترسيخ الروابط بين الحروف المكتوبة والأصوات التي ترمز إليها، ليتم المرور إلى قواعد تركيب الحروف فيما بينها لتشكل وحدات لغوية من مستوى أعلى[34]، ويشكل المرور من الحروف كوحدات بصرية إلى الفونيمات كوحدات صوتية بالنسبة للجهاز العصبي المركزي أهم مراحل اكتساب كفاية القراءة.

خاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج بأن اللّسانيات العرفانيّة فرع من فروع اللّسانيات ذلك أنّها تبحث في كنه العمليات العقلية التي تترجم وجود الإنسان وتفاعله بما يحيط به في حياته الخاصّة والاجتماعية، وأنها علم بينيٌّ يتقاطع مع بقية العلوم الأخرى ممّا جعلها تتبوأ منزلة الشمولية والدّقة في الفهم والقدرات البشرية الذهنية والعضوية .

- معالجة اللغة في الدماغ البشري يجمع ما بين ميكانيزمات المعالجة والمراكز اللّغوية في الدماغ.
- أصبحت اللسانيات العرفانيّة علماً رائداً يربط الجانب اللّغوي بالجانب الذهني وما ينشأ عن هذا الربط من تداخل العلوم المعرفية المختلفة فيما بينها، تعرف بالدراسات البينية، ساهمت في فهم وإدراك العمليات العقلية.
- اللّسانيات العرفانيّة تدرس اللّغة بطريقة تتفق مع ما هو معروف عن العقل البشري ومعالجة اللّغة على أنّها انعكاس وكشف للعقل من خلال ركيزتين هما علم الدّلالة الإدراكي والمقاربة الإدراكية لقواعد اللّغة.

---

[1]– عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ رمزية عصبية عرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،دط،2019، ص323.

[2] ينظر، حنان كرميش، يوسف منصر، تلقي اللسانيات العرفانية في الخطاب اللساني العربي الأزهر الزناد ومحمد الصالح البوعمراني انموذجا، حوليات جامعة قالمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية العدد27 ديسمبر2019،ص:147

[3]– ينظر، كبير زهيرة، إشكالية المصطلح اللّساني في ترجمة النّصوص اللّغوية– ترجمات كتاب دروس في اللّسانيات العامّة لفرديناند دي سوسير أنموذجاً–، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2013–2014، ص.105.

[4] –ينظر: عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ رمزية عصبية عرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،دط،2019، ص:324.

[5]– نترجم «Cognitivisme» بالعرفانية، ونترجم الصفة «cognitif» بالعرفاني ومعرفي، دون أن يكون ثمّة موجب للخلط بالعرفانيّة، في السياق الصوفي.

[6]– ينظر: صابر الحباشة، اللغة والمعرفة– رؤية جديدة– صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، سوريا، 2008، ص.59.

[7]– الأزهر الزنّاد، نظريات لسانية فنيّة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص.15.

[8]– ينظر: توفيق قويرة، الاسم والاسمية والأسماء في اللغّة العربيّة– مقاربة نحويّة عرفانية–، ط1، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس، 2011،ص.1.–15.

[9] – عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ رمزية عصبية عرفانية، ص327.

[10]– ينظر: عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2010، ص.39–40.

[11]– توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية– مقاربة نحوية عرفانيّة–، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص.27–29.

[12]– عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص.40.

[13]– ينظر: بول جورج، معرفة اللغة، ترجمة: فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت، ص.99–155.

[14]– ينظر: غسّان إبراهيم الشمري، بحث مقدم بعنوان: أسس اللّسانيات المعرفية ومبادئها العامة، الأردن، جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– بينع، ص.01.

[15]– ينظر: المرجع نفسه، ص.02.

[16] – الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الإختلاف،ط1، تونس2010، ص35.

[17] عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ رمزية عصبية عرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،دط،2019، ص226.

[18]– ينظر: سعاد سليماني، مقال استفادة اللغة العربية من اللسانيات العرفانية– مقاربة نظرية–، المركز الجامعي بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، الجزائر، 2017ص.04.

[19]– Voir : Siouffi Gille, Raemdonck Dan Van, 100 fiches pour comprendre la linguistique, p.62–63.

[20]– ينظر: عطية سليمان أحمد، الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية، ص.90.

[21]– عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص.42.

[22]– المرجع نفسه، ص.45–46.

[23] عبد العزيز مجدوب، إطلالات على النظريات اللسانيات والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ط1، تونس2012،ص409.

[24] ص261

[25] – عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ رمزية عصبية عرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،دط،2019، ص142.

ينظر: سليمان ناصر الدرسوني، تعريف اللّسانيات، 12 مارس 2011.

[27]– Voir : Siouffi Gille, Raemdonck Dan Van, 100 fiches pour comprendre la linguistique, p.52.

[28]– الأزهر الزنّاد، نظريات لسانية عرفنيّة، ص.32.

[29] – عبد الرحمن محمد طعمة، التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية"قرائة بينية معاصرة لبعض القضايا الأولية، رسالة المشرق، جامعة القاهرة ص:533.

[30]– Jackendoff.Ray. The. The Architecture of language faculty. Cambridge Mass MIT Press 1997.P5 .

[31] – عبد الرحمن محمد طعمة، التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية، المرجع السابق، ص:536.

[32] – النمو اللغوي والتطور الدماغي من منظور اللسانيات العصبية، نورية بن عدي مداخلة في الملتقى الوطني اللغة العربية بين اللسانيات الحاسوبية واللسانيات العرفانية في الجامعة الجزائرية، منشورات المجلس 2019، ص279

[33] – عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ، ص52.

[34] - نورية بن عدي، النمو اللغوي والتطور الدماغي من منظور اللسانيات العصبية، نورية بن عدي مداخلة في الملتقى الوطني اللغة العربية بين اللسانيات الحاسوبية واللسانيات العرفانيّة في الجامعة الجزائرية، منشورات المجلس 2019، 279.